

كتب

في الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة الأردنية بتقديم الباحثة هند أبو الشعر، يضيء عدد من الباحثين الشباب الأطر والحركات الاجتماعية التي ينخرط فيها المقدسيون لمواجهة الاحتلال، من خلال توثيق نشاط هذه الحركات منذ عشرينيات القرن الماضي وحتى اليوم

القدس حركات طلابية ونسائية لمقاومة سياسات الأسرلة

بعد 56 عاماً من الاحتلال

محمود منير

سنواتٍ سبغَ تفصّل عن تطبيق الاحتلال الصهيوني خطّته المسماة «القدس الكبرى»، التي ستفرض أغلبية يهودية في المدينة تتجاوز 70 بالمئة، وتطمس الطابع العربي الإسلامي في عمرائها وثقافتها، مع استمرار التضييق اليومي على المقدسيين بسبب الإغلاقات وجدار الفصل العنصري الذي يقطع القدس عن قرأها. ثلاثمئة وخمسين ألف مقدسي يواجهون واقعاً مرعباً بسبب نزع حاضرتهم التي احتلت عام 1967 عن محيطها الفلسطيني، بحيث تظلّ القدس خارج اتفاقية «أوسلو» عام 1993، بانتظار الحل النهائي، وبذلك منعتهم «إسرائيل» من تمثيل أنفسهم في انتخابات بلدية أو نيابية، يمكنهم التحرك من خلالها في تظاهرات سياسية دفاعاً عن مصالحهم، وإيقائهم تحت حكمه المباشر طوال ستة وخمسين عاماً. نُضيء مجموعة من الباحثين الشباب الأطر والحركات الاجتماعية التي ينخرط فيها المقدسيون لمواجهة سياسات الأسرلة، في كتاب «الحركة الطلابية والنسائية والعبادات والتقاليد المتوارثة في القدس»، الذي صدر حديثاً، ضمن سلسلة «فكر ومعرفة» في وزارة الثقافة الأردنية، من إعداد مركز دراسات القدس - جمعية يوم القدس»، وتقديم أساتذة التاريخ الحديث والباحثة الأردنية هند أبو الشعر.

توثيق الحضور العربي

تلقت هند أبو الشعر في تقديمها إلى أبحاث الكتاب يجمعها محور المكان؛ القدس، ما بين الزمن العثماني المتأخر والاستعمار البريطاني والحكم الأردني، وأخيراً ما بعد عام 1967 حتى اليوم، موضحة أهمية التوثيق للحضور العربي، ومخاطبة العالم بالعلم والبحث والحجة الموثقة، وضرورة إعداد فئات متمكنة من الباحثين ليواصلوا بوسائلهم العلمية كلمة الحق التي تصادها القوة الصهيونية.

الطلبة خمس عمليات مقاومة في الانتفاضة الثالثة، رغم طغيان المشاركة السياسية على حركة الطلبة، إلا أنها واصلت الاحتجاج ضد قضايا تعليمية، ومنها مواجهة فرض المناهج الإسرائيلية منذ احتلال القدس عام 1967، حيث نفذ الإضراب العام في المدرسة في تشرين الثاني/ نوفمبر من السنة نفسها، ونجح في الإبقاء على المنهاج الأردني الذي كان يدرس إبان وحدة الضفتين مع بعض التعديلات، تبعاً للدراسة. وتبني أبو نجيلة أن هذه المواجهة لا تزال مفتوحة إلى اليوم، لكن تخفيض الاحتلال الموازنات الخاصة بقطاع التعليم، وإغلاق المراكز التعليمية، وتطبيق المنهاج الإسرائيلي على المدارس العربية، وتحديد مناهج العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا، وقد بلغ عدد طلبة القدس أربعين ألفاً، منهم 50 بالمئة يدرسون في مدارس بلدية الاحتلال، ويتوزع النصف



تسبب الاحتلال بتسرّب نصف الطلبة المقدسيين في مطلع اللفية شاركت الحركات النسائية في الثورة الفلسطينية عام 1935



دخان في سماء القدس خلال حرب الأيام الستة عام 1967 (Getty)

الثاني على المدارس الخاصة ومدارس الأوقاف ومدارس وكالة الغوث (الأونروا) ومدارس غير معترف بها. ونختم بتحديد جملة تحديات تواجه الطلبة المقدسيين مثل ارتفاع نسبة التسرب من المدارس التي تعاني مشاكل متفاقمة، وقمع الحركة الطلابية، واستمرار سياسات الأسرلة في التعليم، وهي خلاصة تشاركها معها الطالبة رهن الحلال من «الجامعة الألمانية الأردنية» في عتّان في دراستها التي تحمل عنوان «الحركة الطلابية في القدس في ظل الاحتلال الصهيوني»، حيث يدفع الاحتلال إلى تغيير هوية المدينة وديمغرافيتها في وقت يتواصل فيه الانقسام الضمالي الذي يترك تأثيرات سلبية على الحراك الطلابي، ويتسبب في عزوفهم عن الشأن العام. يضمّ القسم الثاني وحراكها الاجتماعي؛ الأولى بعنوان «الحركة النسوية الفلسطينية في القدس» للباحثة فهيمة غنابم من «جامعة اليرموك الأردنية»، التي توفّق فيها بداية العمل النسائي منذ عام 1933، حيث أفرز حركات منظمة اندمجت في الثورة التي قادها الشيخ عز الدين القسام بعد نحو عامين، وعملت على نقل القضية الفلسطينية إلى المستويين العربي والعالمي من خلال المشاركة في العديد من المؤتمرات والفعاليات. وتستعرض أيضاً المنظمات النسائية التي أنشئت في القدس وعملها قبل النكبة وبعدها، وعقب الاحتلال الإسرائيلي، ووصولاً إلى «أوسلو»، وما قدّمته المرأة من تضحيات في المقاومة إلى جانب عملها الاجتماعي، لكن الاتفاقية شكّلت أرضية لانتشار منظمات ومراكز نقصي أي دور للعمل الوطني.

أما دراسة «الحركة النسائية في القدس.. صراع وجود» للباحث أحمد ماجد الخواجا من «جامعة الزيتونة» الأردنية، فلا تقدّم تفاصيل أكثر عن سابقتها، حيث تركّز على بُعد نظري يتعلّق بتاريخ هذه الحركة وريادتها على المستوى العربي، بالنظر إلى أقدمية نشاطها وفعالها على الأرض، ودورها الفاعل في جميع محطات النضال الفلسطيني. تغيب الدراسات المسيحية والمقابلات الشفوية عن معظم الأبحاث في الكتاب، لكون أصحابها مقيمين خارج القدس، في غزة وعتّان، بحيث لا تقدّم صورة عن اللحظة الراهنة خاصة ما يتعلّق بواقع العمل النسوي، في تركيز على بداياته في الثلاثينيات، وصولاً إلى التسعينيات، وعدم تحديد أسباب شاملة ومُفنعة حول تراجع حضور المرأة اجتماعياً وسياسياً في القدس. يتناول القسم الثالث الحياة الاجتماعية والثقافية في ثلاث دراسات: «أبواب القدس.. عادات وتقاليد» للباحثة غزل هديب من «الجامعة الأردنية» في عتّان، في محاولة لإبراز تفاعل جماعات مُسلمة ومسيحية قدمت من بلدان وثقافات مختلفة مع المدينة وأهلها، وكيف أصبحت جزءاً من نسيجها الثقافي، و«عادات أهل القدس وتقاليدهم الموروثة» للباحثة بيان أبو زريع من «جامعة الزيتونة» الأردنية، التي تستعرض التقاليد الرضائية والأعياد وعادات الزواج والأزياء وأداء النساء للأغنية التراثية، والألعاب الشعبية، وجملة من الأمثال الساخرة.

ويقدم الباحث معاوية غيث من «جامعة الزيتونة» الأردنية دراسة بعنوان «العبادات والتقاليد في القدس» الذي يفضّل فيها أكثر عادات الأفراح بكامل طقوسها، وكذلك عادات الأتراح والعزاء، وتقاليد الأكل والشرب والملابس والمناسبات الدينية، واللهجات بين أهل مدينة القدس وفلاحيتها. تلقت هند أبو الشعر في تقديمها إلى أنّ أبحاث الكتاب يجمعها محور المكان، وهو القدس وفلسطين، في حين تتفاوت المرحلة الزمنية التي يتم تناولها، ما بين الزمن العثماني المتأخر وعهد الانتداب البريطاني، وصولاً إلى مرحلة الانضمام للأردن، وأخيراً ما بعد حرب عام 1967، حتى اليوم، موضحة أهمية التوثيق للحضور العربي، ومخاطبة العالم بالعلم والبحث والحجة الموثقة، وضرورة إعداد فئات متمكنة من الباحثين ليواصلوا بوسائلهم العلمية كلمة الحق التي تصادها القوة الصهيونية بكل ما تملك من وسائل.

نظرة أولى

صدر عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» كتاب **العلاقات العربية - التركية (1918- 1923): السيرة والتاريخ والمصائر** للباحث السوري محمد جمال باروت. يركّز الكتاب على «التفاهات» العربية - التركية، ويقارن بين تطورات حركتي الاستقلال العربية والتركية الكمالية والتفاعل بينهما قبل نشوء الدول الإقليمية في أربع مراحل تاريخية بدءاً من اتفاقية سايبس بيكو، ثم دخول بلاد الشام والعراق تحت الاستعمارين البريطاني والفرنسي، وصولاً إلى «معاهدة لوزان» التي أنهت الدولة العثمانية بعد أربعة قرون، وانبثقت عنها دولة تركيا الحديثة.

تعدّ الصحافية الإسبانية تيريسا أرانغرين من أبرز الأصوات المُدافعة عن حقّ الفلسطينيين في الحرية ومقاومة الاحتلال الإسرائيلي. في كتابها **الزيتون المكسور**، الصادر عن دار «باراتاريا» الإسبانية، تسرد تفاصيل الحياة اليومية لشعب يعاني منذ عام 1948 أشنع الممارسات الاستعمارية. يصف الكتاب كيف يُمكن لقنبلة أن تقتل مجموعة من الأطفال وهم يلعبون الكرة، وكيف يُرفع جدار إسمنتي ليفصل العائلات والأقارب والمدن عن بعضها، وكيف تقطع شجرة زيتون عمرها أكثر من 500 عام، مشاهد ترسمها الكاتبة لشعب مؤمن بالحياء رغماً عن الاحتلال.

صدر عن «مركز نهوض للدراسات والبحوث» للأكاديمي والسياسي الكويتي علي الزميع (1952) كتاباً بعنوان **كيف صنعنا الطائفية؟: القراءة المحرّمة**. ينطلق الباحث من مقاربة شاملة لمشكلة الطائفية، بوصفها الظاهرة الأخطر اجتماعياً وسياسياً في الواقع الإسلامي المعاصر، ويرتكز في تحليله على لحظة إنشاء الدولتين: الصغوية والعثمانية، حيث يلاحظ تزامناً نشأتهما، ما دفعهما إلى التنافس على إضفاء الشرعية الدينية على الحكم السياسي. من مؤلّفات الزميع: «في النظرية السياسية الإسلامية»، و«المواطنة وبنية الدولة في الفكر الإسلامي».

صدرت في العاصمة الألبانية تيرانا، عن دار «أونوفري» Onufri، مختارات شعرية للزميل الشاعر الفلسطيني نجوان درويش بعنوان **عقاب أن تنسى** من اختيار وترجمة وتقديم الأكاديمي الكوسوفي محمد موفاكو، الذي أصدر منذ 1979 أكثر من عشرة كتب تعرّف بالأدب العربي في اللغة الألبانية. هذه المختارات هي الثانية للشاعر في الألبانية بعد مختارات سابقة صدرت في بريشتينا بكوسوفو عام 2020 بعنوان «بلد يسمّى الأغنية» (أعيد طبعها عام 2022). تميز المختارات الجديدة بكونها حصيلة ثماني مجموعات صدرت للشاعر بين 2000 و2021، وصولاً إلى «كرسي على سور عكا».

شيرين أبو عاقلة: **عروس جنين التي اغتالها الاحتلال**، عنوان الكتاب الصادر عن «خريف للنشر»، للصحافية التونسية آسيا العتروس. العمل عبارة عن محاولة تكريم واعتراف بدور الإعلامية الفلسطينية الشهيدة (قتلها الاحتلال الإسرائيلي في 11 أيار/ مايو 2022، بعد أيام فقط على إحياء «اليوم العالمي لحريّة الصحافة»)، في المشهد الإعلامي الفلسطيني والعربي. من غلاف الكتاب نقراً: «دخلت شيرين كل البيوت رغم قيود الاحتلال، والحواجز الإسمنتية والأسوار العالية، حاملة في كل إطلالة لها حكاية عن فلسطين، وعن أمل شعبها وجيلها في الحرية».

بمراجعة محمد ناصر الدين، أصدرت «دار الرافدين»، ضمن سلسلة «استعدادات»، طبعاً من كتاب **دمشق مدينة السحر والشعر** للاديب السوري محمد كرد علي (1876 - 1953)، الذي نُشر للمرّة الأولى عام 1944. في هذا العمل، قدّم كرد على إضاءات على جوانب مختلفة للعاصمة السورية، تاريخها السياسي من العصور القديمة إلى العصر الحديث، وعمرانها، ومصانعها، ووصف القدماء، والمُحدثين لها، وسكّانها وخصائصها، وطبيعتها الجغرافية وسمات تجارتها وصناعاتها، إضافة إلى الحياة الأدبية والفنية والجغرافية فيها. كما خصّص فصلاً من الكتاب للحديث عن غوطتها.

يُعيد كلّ من الباحثين الأميركيّين دونالد فينيمور وفرانك هومان في كتابهما **ديفيد ريتينهاوس: الفيلسوف الميكانيكي لفيبادلفيا الاستعمارية وساعاته الشهيرة**، الصادر عن منشورات «جامعة ييل»، سيرة هذا الفيلسوف والمخترع الأميركي (1732 - 1796)، عبر سرد حياته وأعماله في مجالات علمي الفلك والرياضيات. كان ريتينهاوس شخصية محورية في المشهد الثقافي خلال العصر الذي عاش فيه. كما يتعمّق الكتاب بأدوات طوّرها المخترع مثل المقاييس، والتلسكوبات، وبوصلات المسح، وغيرها من المعدّات، حيث جرى توضيح هذه الأشياء باستخدام صور فوتوغرافية جديدة.

يُعدّ كتاب **المنطق الرمزي: أصول الرياضيات** للفيلسوف البريطاني برتراند رسل، الصادرة ترجمته عن «دار التكوين» بتوقيع عبد اللطيف الصديقي، مرجعاً أساسياً للمنطق الرمزي وأسس الرياضيات. وبمثابة أيقونة عند أصحاب مدرسة «اللوجية المنطقية»، التي ترى أنّ الرياضيات والمنطق واحد، فيغدو المنطق صيماً الرياضيات، والرياضيات رجولته، بتعبير رسل نفسه، الذي يُوجّه في كتابه هذا نقداً قاسياً للمنطق الصوري ومفاهيمه، ويضع بدلاً منها الأسس المنطقية للمعرّفات الرياضياتية، ويرأب الصدوع التي تجاهلها علماء الرياضيات في هذا الشأن.

